كوكب منهج الفلاح فى الرد على الفلاسفة فى العقول والنفوس والارواح

تأليف
العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن
ابن العلامة الامام الشيخ
السيد الشرشيمى
الازهرى نفع
الله بهما
آمين

رسالة بينت للعقل منهجه * وأعربت عن كمال النفس والروح
فيا أولى العلم لا تبغوا بها بدلا * واستقبلوها برحب الصدر مشروح

تنبيه لا تطبع هذه الرسالة الا باذن مؤلفها

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٠٢ هجرية

كوكب منهج الفلاح في الرد على الفلاسفة
في العقول والنفوس والارواح

تأليف
العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن
ابن العلامة الامام الشيخ
السيد الشرشيمى
الازهرى نفع
الله بهما
آمين

رسالة بينت للعقل منهجه * وأعربت عن كمال النفس والروح
فيا أولى العلم لا تبغوا بها بدلا * واستقبلوها برحب الصدر مشروح

تنبيه لا تطبع هذه الرسالة الا باذن مؤلفها

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٠٢ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن خص أنفسنا بالقوة العملية والعقلية وكملها بافاضة العلوم الضرورية والنظرية وصلاة وسلاما على من خص بخلاصة أرواح الافكار فجاء بحجج كالشمس فى رابعة النهار وعلى آله وصحبه الذين وضحت آيات كمالهم فى العقول والنفوس ففاقوا بذلك البدور والشموس (أما بعد) فيقول عبد الرحمن ابن المرحوم الفاضل والهمام الكامل من تحلت بعقود ألفاظه أعناق الكتب وانكشفت به عن المعانى الدقيقة أستار الحجب الاستاذ العالم العلامة الحبر البحر الفهامة الشيخ سعيد الشرشيمى قد جمعت رسالة ترتاح بسماعها النفوس والأرواح وتختال بها العقول فى حلل الافراح فقلت وبالله التوفيق (قسم المشائيون) من الحكماء الجوهر الى خمسة أقسام فقالوا الجوهر ان كان حالا فى جوهر آخر فصورة وان كان محلا فهيولى وان كان مركبا من الحال والمحل فجسم وان لم يكن مركبا منهما ولا حالا ولا محلا فان تعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف والتحريك فنفس وان تعلق به تعلق تأثير فعقل وذلك كالانسان له جزء مادى قابل للاتصال والانفصال وهذا هو الهيولى وله جزء صورى حال فى الجزء المادى وهذا هو الصورة ومجموع الجزء المادى والصورى هو الجسم والبدن ثم ان هذا الجسم ليس بمدرك للامور النافعة والضارة من حيث هو جسم والا لزم أن يكون هذا الادراك موجودا فى جميع الاجسام فلا بد له من أمر يدرك ما ينفعه فيصرفه اليه ويدرك ما يضره فيصرفه عنه وهذا الامر المدرك للضار والنافع هو النفس وأيضا هذا الجسم ليس وجوده وعدمه من مقتضى ذاته فلا بد له من أمر يؤثر فيه

الوجود والعدم وهذا هو العقل الفياض (وقسم الاشراقيون) منهم الجوهر الى ثلاثة أقسام فقالوا الجوهر ان كان متحيزا فجرمانى وهو الجسم وان لم يكن متحيزا فروحانى وهو العقل والنفس ولا يثبت عندهم جوهر حال هو الصورة وآخر محل هو الهيولى وانما الهيولى عندهم اسم للجسم من حيث قبوله للاعراض المحصلة للاجسام المتنوعة والصورة اسم لتلك الاعراض (وقسم الاشاعرة) الجوهر الى قسمين فقالوا الجوهر ان قبل القسمة فجسم والا فجوهر فرد وذلك لانه لا جوهر عندهم الا المتحيز هذا وقد رتبنا هذه الرسالة على ثلاثة أبواب وخاتمة فنقول

(باب النفس) النفوس ثلاثة نباتية وحيوانية وانسانية فالنباتية تعرف بأنها كمال أول لجسم طبيعى آلى من حيث يتغذى وينمو فالكمال جنس وهو عبارة عما يتم به الشئ ثم ان كان التمام فى الذات سمى كمالا أولا وذلك كصورة السرير فانها كمال للخشب السريرى لا يتم السرير فى حد ذاته الا بها وان كان التمام فى الصفات سمى كمالا ثانيا كالبياض والقدرة فان البياض كمال للجسم الابيض لا يكمل فى صفته الا به والقدرة كمال للقادر لا يكمل فى صفته الا بها وأول فصل خرج به الكمالات الثانية وجسم فصل ثان خرج به كمال المجردات وطبيعى فصل ثالث خرج به الجسم الصناعى كالسرير وآلى فصل رابع خرج به العناصر لان الآلى هو ذو الاجزاء والقوى المختلفة والعناصر ليست كذلك لانها بسيطة وبالحيثية أعنى قولنا من حيث يتغذى وينمو خرجت النفس الحيوانية فانها وان كانت كمالا أولا لجسم طبيعى آلى لكن من حيثية احساسه وتحركه بالارادة وخرجت أيضا النفس الانسانية فانها وان كانت كمالا أولا الخ الا أنها من حيثية التعقل للكليات والاستنباط بالرأى

(واعلم) أن لكل من النفوس الثلاثة قوى وأن قوى النباتية موجودة فى الحيوانية والانسانية وأن قوى الحيوانية موجودة فى الانسانية وأن قوى الانسانية مختصة بها

(فصل فى القوى النباتية الخادمة) هى أربع (الاولى الجاذبة) وهى التى تجذب الغذاء فتحركه من الفم الى المعدة واستدلت الحكماء على ثبوتها بأدلة منها أن الانسان اذا تغذى بغذاء وتناول بعده شيأ حلوا ثم استعمل القئ وجد الحلو آخر

ما يخرج وليس ذلك الا لجذب المعدة اياه الى أسفل لانها تحب الحلو حبا طبيعيا (الثانية الماسكة) وهى التى تمسك الغذاء من جميع جهاته مقدار ما تفعل القوة الهاضمة فيه فعلها واستدلوا عليها بأدلة منها احتواء الرحم على الولد بحيث لا ينزل فان الحيوان الحامل لو شق من أسفل السرة الى جانب الفرج وكشف عن الرحم برفق لوجدت الرحم منضمة من جميع الجوانب منطبقة الفم فلو لم يكن فى جوهر الرحم قوة تمسكه لما كان الامر كذلك (الثالثة الهاضمة) وهى التى تحيل الغذاء وتهيؤه لأن يصير جزأ من العضو وذلك لانها تفرق الأجزاء الغليظة وتجمع الاجزاء الرقيقة والتفريق والجمع المذكوران لا يكونان منها الا بعد جذب الجاذبة ثم امساك الماسكة (تنبيه) للهضم مراتب أربع الاولى فى المعدة وهى أن تجعله كماء الكشك الثخين فى بياضه وقوامه الثانية فى الكبد وذلك ان الغذاء اذا وصل الى الأمعاء انجذب لطيفه الى عروق دقيقة صلبة ضيقة التجاويف وهى توصل الى عرق بباب الكبد نابت من أسفله وهذا العرق له طرفان طرف خارج الكبد وله شعب كثيرة تتصل أفواهها بافواه العروق المتقدمة وطرفه الآخر له شعب دقيقة جدا نافذة فى جميع الكبد بحيث لا يخلو جزء من أجزائه عن هذه الشعب فيصير الكبد ملاقيا لكل الغذاء وينطبخ الغذاء حينئذ انطباخا تاما وتتميز الاخلاط الاربعة وهى الصفراء والسوداء والدم والبلغم فأجزاء الغذاء اللطيفة النارية أى ذات الحرارة واليبس يزيد نضجها على نضج بقية الاجزاء وهى خفيفة ولخفتها ترتفع على بقية الاجزاء مثل الرغوة وهذه هى الصفراء والاجزاء الكثيفة الارضية أى ذات البرودة واليبس ترسب أسفل الاجزاء الغذائية كالعكر وهذه هى السوداء والاجزاء التى بين الرغوة والعكر منها ما تم نضجه وهو الدم ومنها ما لم يتم نضجه وهو البلغم وهو دم لم ينطبخ انطباخا تاما الثالثة فى العروق وذلك لان الاخلاط الاربعة تنصب فى عرق نابت من جانب الكبد ثم تندفع الى عروق متشعبة من ذلك العرق وتنهضم فيها الاخلاط انهضاما أتم مما كان فى الكبد وحينئذ تميز ما يصلح غذاء لكل عضو فيصير مستعدا لأن تجذبه جاذبة العضو الرابعة فى الاعضاء وذلك لان الغذاء

اذا سلك في العروق الكبار الى الجداول ثم منها الى السواقي ثم منها الى الرواضع ثم الى العروق الليفية رشح الغذاء من أفواه هذه العروق الليفية على الاعضاء وحينئذ تحصل غاذية كل عضو للاغذية الراشحة عليها التشبه بعضوها (تتمة) اعلم أن الغذاء له في مراتب الهضم الاربعة أجزاء لا تصلح أن تكون جزأ من المتغذى وحيث كانت كذلك يحتاج الى دفعها فيخرج منه في المرتبة الاولى التي في المعدة الثفل الذي يندفع من طريق الامعاء ويخرج منه في المرتبة الثانية التي في الكبد البول ومرتان احداهما سوداء تخرج من الطحال وثانيتهما صفراء تخرج من المرارة ويخرج منه في المرتبة الثالثة التي في العروق رطوبة مائية تندفع بالبول والابخرة التي تصير عرقا ويخرج منه في المرتبة الرابعة التي في الاعضاء المني وانما أخر خروجه الضعف الزائد لكونه فضلا للهضم الاخير الذي يهيئ الغذاء لان يصير جزأ من المتغذى بالفعل (الرابعة الدافعة) وهي اما دافعة للعضو ما هي له من الغذاء فتعين قوة العضو الجاذبة على جذبها الغذاء له واما دافعة للفضلات عنه وهذا الاخير يوجد عند التبرز حتى انه ربما انخلع المعى عن موضعه الى أسفل لقوة الحركة الدافعة ويدل عليه أيضا القيء من غير اختيار وكذا ما نراه من انتزاع المعدة الى فوق بحيث تتحرك معها سائر الاحشاء (فصل في القوى النباتية المخدومة) هي أربع أيضا (الاولى الغاذية) وهذه لا بد منها في بقاء الشخص مدة حياته ثم ان فعلها يتم بامور ثلاثة الاول جعلها الغذاء شبيها بالعضو المطلوبة تغذيته الثاني أن تلصقه بالعضو وتجعله جزأ من العضو بالفعل الثالث أن تجعله بعد الالصاق شبيها بالعضو من كل جهة حتى في قوامه ولونه واعلم أن الغاذية في الاعضاء مختلفة فان غاذية العظم تحيل الغذاء الى ما يشبهه وكذلك غاذية اللحم وسائر الاعضاء (الثانية النامية) ولا بد منها في الشخص الى الوصول الى الكمال وفعلها هو ضمها الغذاء الزائد عن بدل ما يتحلل من تلك الاجزاء وذلك لان البدن يتحلل منه أجزاء فالغذاء اذا وصل الى القوة الغاذية فان كان مقدار ما يتحلل من الاجزاء فعلت فعلها المتقدم وحينئذ لا فعل للنامية وان كان زائدا على المقدار المذكور أخذت منه مقدار ما يتحلل من البدن

وتركت الباقى للقوة النامية فتأخذه فتضمه فى الاجزاء فتزيد فى الاقطار الثلاثة أعنى الطول والعرض والعمق وهذا الامتداد طبيعى أى تقتضيه طبيعة الشخص الذى فيه القوة المذكورة بخلاف الورم والسمن فانهما ليسا طبيعيين ولذلك يوجدان بعد كمال الامتداد وأما امتداد الاجزاء من القوة النامية فله نهاية وذلك لان البدن متولد من الدم والمنى ويتيسر حينئذ نفوذ الغذاء فى أجزائه لكونه رطبا ثم يجف يسيرا يسيرا وحينئذ يعسر النفوذ قليلا قليلا فاذا جفت الاعضاء جفافا كاملا لا ينفذ الغذاء فى أجزائها فلا تقبل امتدادا وحينئذ تقف القوة النامية عن فعلها وهل تبقى حينئذ ذاتها أو تبطل بالكلية فيه خلاف (الثالثة المولدة) وفعلها هو أن تفصل من الغذاء بعد الهضم الاخير ما يصلح أن يكون مادة لمثله بمعنى أنها تخرج من الغذاء الذى فى العظم جزأ يصلح أن يتخلق منه عظم وتخرج من الغذاء الذى فى اللحم جزأ يصلح أن يتخلق منه لحم وهكذا والمنىّ هو مجموع هذه الاخلاط فيكون متخالف الحقيقة متشابه الامتزاج لان الحس لا يميز بين أجزائه وعلى هذا تكون المولدة فى كل البدن وهو رأى بقراط وهى عند ارسطو لا تفارق الانثيين فيكون المنىّ المتولد فيهما متشابه الحقيقة وفى كليات القانون ان المولدة نوعان نوع يولد المنى فى الذكر والانثى ونوع يفصل كيفياته لانها مختلفة الامزجة وان اتحدت حقيقتها فتخص بالعصب مزاجا خاصا وبالعظم مزاجا خاصا وهكذا (الرابعة المصورة) وهى توجد فى المنىّ بعد استقراره فى الرحم صورا ومقادير بها تصير مماثلة لما انفصلت عنه على رأى بقراط المتقدم وللامزجة التى فى المنى على رأى غيره واعلم أن المصورة والمولدة مخدومان للغاذية والنامية أما الغاذية فلانها تجعل الغذاء مناسبا لكل عضو ولولا ذلك لما وجد توليد ولا تصوير وأما النامية فلانها تعظم الاعضاء وتوسع مجاريها حتى تصل الى الهيئة الصالحة للتوليد الموجود بعده التصوير (تنبيه) اثبات القوى المتقدمة هو رأى الحكماء وهو مبنى على أصل لهم فاسد وهو أن الواحد لا ينشأ عنه الا أمر واحد فلذلك قالوا بتعدد القوى المتقدمة

ليكون

أن يكون لكل قوة فعل وسيأتى ابطاله عند ذكر العقل الفياض وعلى تسليم صحته نقول ان محل كون الواحد لا يصدر عنه الا واحد ان لم تتعدد آلات ذلك الواحد وأما ان تعددت فلا فلم لا يجوز أن لا يكون هناك الا قوة واحدة لها آلات متعددة تجذب الطعام بواحدة وتمسكه باخرى وتهضمه بثالثة وتدفع الفضل بآلة رابعة وتورد الغذاء تارة أكثر من المتحلل وتارة أنقص وتارة مساويا وبعد فمن رجع الى الفطنة والانصاف باقيا على فطرة الله التى فطر الناس عليها من الذكاء والميل الى الصواب وتأمل ما فى عالم الطبيعة الذى هو عبارة عن النباتات المتخالفة الانواع والحيوانات المتباينة الحقائق من بلوغها فى الاتقان أقصى الغاية خصوصا ان تأمل ما يحدث فى الحيوانات وهى فى الرحم من الصور والمقادير والأوضاع المتلائمة وتأمل أيضا ما يفاض على ما فى الرحم من الصور النوعية والقوى وما يراعى فى تلك الامور المفاضة من الحكم والمصالح التى تحيرت فيها الاوهام وعجزت عن ادراكها العقول والافهام علم علما ضروريا لا يشوبه ريب أن تلك الافعال العجيبة لا يمكن أن تستند الى قوى عديمة الشعور وأيقن أنها مستندة الى عليم كامل العلم خبير ببواطن الاشياء وما يخفى منها حكيم متقن لافعاله مطابقة للمنافع المترتبة عليها قدير على كل ما تعلقت به مشيئته والذى يدل على ان العلم المتقدم ضرورى قوله تعالى هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لان ايراده فى مقام الاستدلال على عظمة الصانع يدل على أنه أمر ضرورى حتى يصح أن يستدل به على عظمته سبحانه هذا هو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأما مثل هذه المذاهب فيكذبها العقل الصريح ويأباها الذهن الصحيح ولا يقبلها طبع سليم وذهن مستقيم (فصل فى القوى الحيوانية) قواها اما مدركة واما محركة والمدركة اما ظاهرة أو باطنة (فالمدركة الظاهرة) هى الحواس الخمس (الاولى البصر) وفيه ثلاثة مذاهب ذهب ارسطو ومن تبعه من الطبيعيين الى أن الابصار انما يحصل بانعكاس صورة المرئى الى الرطوبة الجليدية التى فى العين فتنطبع الصورة فى جزء من تلك الجليدة وذلك لان الجليدة المذكورة يخرج منها خطان

مستقيمان الى سطح المرئى فبواسطة الهواء الشفاف تنعكس صورة المرئى الى تلك الجليدة وذهب جمهور الرياضيين الى أن الابصار يحصل بواسطة خروج جسم شعاعى من العين وذهب بعض الى ان الابصار يحصل بواسطة أن الهواء التى بين العين والمرئى يتكيف بكيفية الشعاع الذى فى العين وبذلك يكون آلة فى الابصار والفرق بين هذا وما قبله ان أهل هذا المذهب لا يقولون بخروج شعاع من العين بخلاف ما قبله (الثانية القوة السامعة) وهى قوة مودعة فى العصبة المفروشة فى مؤخر الصماخ وتلك العصبة محتوية على هواء كالطبل فاذا وصل الهواء الحامل للصوت الى تلك العصبة وقرعها أدركته القوة المودعة فيها (الثالثة الشامة) وهى قوة مودعة فى زائدتين فى مقدم الدماغ كحلمة الثدى ثم ان بعضهم زعم أن الرائحة تصل اليها بواسطة تحلل أجزاء من الجسم ذى الرائحة وهذه الأجزاء تصل اليها بواسطة تكيف الهواء المتوسط بين القوة الشامة والجسم ذى الرائحة وزعم آخرون أن الهواء يتكيف بالرائحة من غير تحلل شئ من الجسم وهذا هو الحق فان المسك القليل يعطر مواضع كثيرة ويدوم ذلك مدة بقائه ولا ينقص وزنه (الرابعة الذوق) وهو قوة منبثة فى العصب المفروش على جرم اللسان وانما تدرك الطعوم بواسطة الرطوبة المخالطة للمطعوم ثم ان كانت الرطوبة خالية عن الطعوم كلها أدت الطعم الى الذائقة بصحة أما ان تكيفت بطعم آخر أو خالطها أجزاء من حامل الطعم لم تؤده الى الذائقة بصحة بل تؤديه مخلوطا بطعم آخر وذلك كالمريض الذى تغير لعابه (الخامسة اللمس) وهى قوة منبثة فى العصب المخالط لأكثر البدن سيما الجلد فان العصب يخالطه كله ليدرك به أن الهواء المجاور للبدن محرق أو مجمد فيحترز عنه لئلا يفسد المزاج الذى به الحياة وانما قيل المخالط لأكثر البدن لان بعض الاعضاء ليس فيه قوة لامسة كالكلية فانها ممر الفضلات فاقتضت الحكمة الالهية أن لا يكون فيها احساس لئلا تتأذى بمرور الفضلات عليها وكالكبد فانه يتولد فيه الاخلاط الاربعة المتقدمة وكالطحال فانه مفرغة للسوداء وكالرئة فانها دائمة الحركة لترويح القلب (تنبيه) اعلم ان أضعف الحواس البصر

وآلته النور ثم السمع وآلته الهواء ثم الشم وآلته البخار ثم الذوق وآلته الماء ثم اللمس وآلته الاعضاء الصلبة ● وأما المدركة الباطنة فهى خمس أيضا (الاولى الحس المشترك) وهى قوة يرتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة بالحواس الخمس فهى كالحوض الذى تصب فيه الميازيب (الثانية الخيال) وهى قوة تحفظ الصور المرتسمة فى الحس المشترك اذا غابت المحسوسات عن الحواس الظاهرة فهى خزانة له ولولا حفظه ذلك لاختل نظام المعاش والمعاد لان الانسان يحتاج حينئذ الى معرفة حال الشئ مرة بعد أخرى فلا يتميز عنده الضار من النافع ولا العدو من الصديق (الثالثة الوهمية) وهى التى تدرك المعانى الجزئية المتعلقة بالصور المحسوسة كالعداوة التى تدركها الشاة من الذئب فتهرب منه وكالمحبة التى تدركها السخلة من أمها فتميل اليها (الرابعة الحافظة) وهى خزانة للوهمية تحفظ المعانى الجزئية التى تدركها (الخامسة المتخيلة) وهذه القوة اذا استعملها العقل فى مدركاته بضم بعضها الى بعض أو فصله عنه سميت مفكرة واذا استعملتها القوة الوهمية فى صور المحسوسات بالتركيب والتحليل سميت متخيلة كأن تتصور انسانا ذا رأسين وانسانا عديم الرأس وانسانا نصفه حيوان ونصفه جماد وانما استعملتها الوهمية فى المحسوسات مع أنها لا تدركها لان الحواس الباطنة كالمرايا المتقابلة فينعكس فى كل منها ما ارتسم فى الاخرى (تنبيه) الدماغ منقسم الى ثلاثة تجاويف أوسعها الاول ثم الثالث ثم الوسط وفى التجويف الاول الحس المشترك فى مقدمه والخيال فى مؤخره وفى التجويف الثالث الوهمية فى مقدمه والحافظة فى مؤخره وفى التجويف الثانى المتخيلة وهى فى وسط الدماغ تأخذ الصور من الخيال والمعانى الجزئية من الوهمية فتتصرف فيها بالتركيب والتحليل وقيل ان الوهمية فى المتوسط مع المتخيلة المتخيلة فى مقدمه وهى فى مؤخره وأما الحافظة ففى مقدم التجويف الاخير وليس فى مؤخره شئ (وأما القوة المحركة) فواحدة وذلك لان النفس تتصور الحركة أولا وتشتاق اليها ثانيا بواسطة قوة باعثة وتلك القوة الباعثة ان كانت لاعتقاد نفع سميت شهوية أو لدفع ضرر سميت غضبية وتريد

ايجادها والثانى توجدها رابعا فهذه مبادئ أربعة للحركة الصادرة من الحيوان اختيارا الرابعة منها هى القوة المحركة التى بها تشتد الاعصاب وتمتد الا أن بعضهم قال ان المرتبة الثانية لا توجد الا لمن لم تتم قدرته وأما تامها فلا شوق عنده (فصل فى القوى الانسانية) قواها المخصوصة بها اثنتان قوة تدرك الكليات والحكم بينها بالنسبة الايجابية والسلبية وهذه تسمى القوة النظرية والعقل النظرى وقوة تستنبط الصناعات الفكرية وتزاول الرأى والمشورة فى الامور الجزئية مما ينبغى أن يفعل أو يترك وهذه تسمى القوة العملية والعقل العملى وهى مستمدة من القوة النظرية لان استخراج الآراء الجزئية انما يكون بقياس فلابد هنالك من مقدمة كلية كأن يقال هذا الفعل فيه صلاح للمعاش والمعاد وكل ما كان كذلك فهو جميل ينبغى أن يفعل فصغرى القياس شخصية وكبراه كلية ويحصل من مجموعهما رأى فى أمر جزئى مستقبل ممكن فلا تروى فى ماض أو حاضر ولا فى واجب أو ممتنع وهذا الرأى هو فعل القوة العملية فاذا تم رأيها وحكمت تحرك البدن الى الفعل (واعلم) أنه يحدث فى النفس الانسانية من القوة العملية الشوقية هيآت انفعالية ينشأ عنها حركات بدنية كالضحك التابع للتعجب الحادث فى النفس من ادراك الامور الغريبة الخفية الاسباب (تنبيهات الاول) اعلم ان النفس لها اعتبارات ثلاثة وأسماء بحسبها فباعتبار أنها مبدأ الآثار مثل الحركة والاحساس يقال لها قوة وباعتبار تعلقها بالبدن تعلق تدبير وتصرف يقال لها صورة مجازا لان الصورة الحقيقية هى الحالة فى المادة وهذه ليست كذلك وانما هى مرتبطة به كارتباط الملك بالمدينة يدبرها ويسعى فى مصالحها وان لم يكن موجودا فيها وباعتبار أنها يتحصل بها الجنس ويتكمل يقال لها كمال (الثانى) ما تقدم من تجرد النفس الناطقة هو مذهب المشهورين من الفلاسفة ووافقهم على ذلك من المسلمين الغزالى والراغب وجمع من الصوفية المكاشفين (الثالث) مذاهب المنكرين لتجرد النفس الناطقة كثيرة والمشهور منها تسعة الاول لابن الراوندى انها جوهر حال فى القلب لا يقبل القسمة الثانى للنظام انها أجزاء لطيفة سارية

فى البدن مثل سريان ماء الورد فى الورد الثالث أنها قوة فى الدماغ وقيل فى القلب الرابع انها ثلاث قوى احداها فى القلب وهى الحيوانية التى بها الحياة والثانية فى الكبد وهى النباتية التى بها التغذية والتنمية والثالثة فى الدماغ وهى النفسانية التى بها الاحساس والحركة الخامس انه الهيكل المخصوص وهو المختار عند جمهور المتكلمين السادس انه الاخلاط الاربعة السابع انه اعتدال المزاج الثامن انه الدم المعتدل اذ بكثرته واعتداله تقوى الحياة وبقلته وفساده تضعف التاسع انه الهواء اذ بانقطاعه طرفة عين تنقطع الحياة فالبدن بمنزلة الزق المنفوخ

(باب العقل) يطلق عند الجمهور على ثلاثة معان (المعنى الاول) صحة الفطرة فى الانسان وحده أنه قوة بها يوجد التمييز بين الامور القبيحة والحسنة وهذا هو العقل الغريزى (المعنى الثانى) ما يكتسبه الانسان من التجارب من الاحكام الكلية وهذا هو الكسبى وحده أنه معان مجتمعة فى الذهن تستنبط بها المصالح والاغراض (المعنى الثالث) هيئة الانسان المحمودة وحده انه هيئة محمودة للانسان فى حركاته وسكناته وكلامه واختياره وأما عند الحكماء فيطلق على ثمانية معان (الاول) العقل الهيولانى وحده انه قوة بها الاستعداد لادراك المعقولات وهذه هى الحاصلة للاطفال ثم ان هذا الاستعداد غير حاصل لسائر الحيوانات وانما نسب الى الهيولى وقيل عقل هيولانى لأن الهيولى خالية فى حد ذاتها عن الصور وكذلك النفس خالية عن العلوم والمعارف فى هذه المرتبة (الثانى) العقل بمعنى التصورات والتصديقات الحاصلة بالفطرة وأما ما حصل بالكسب فعلم وذلك لان النفس اذا أحست بجزئيات كثيرة وارتسمت صورها فى آلاتها الجسمانية ولاحظت نسبة بعضها الى بعض استعدت لأن يفاض عليها صور كلية وأحكام تصديقية وهذه هى العلوم الضرورية (الثالث العقل بالملكة) وهو استعداد النفس لاكتساب النظريات من العلوم الضرورية (الرابع العقل المستفاد) وهو حضور النظريات عنده بحيث تكون القوة العاقلة مشاهدة للنظريات (الخامس العقل بالفعل) وهو سهولة احضارها أمام القوة العاقلة بحيث متى شاء احضارها

حضرت وهذه السهولة لا تحصل الا اذا لاحظ النظريات مرة بعد أخرى حتى تحصل له ملكة نفسانية يقوى بها على احضار النظريات متى شاء من غير احتياج لفكر جديد واذا تأملت ما تقدم علمت ان العقل المستفاد يتقدم على العقل بالفعل عند حضور النظريات قبل ان يسهل احضارها ويتأخر عنه عند سهولة احضارها مع كونها غير حاضرة فهو متقدم حدوثا متأخر بقاء (السادس العقل النظرى) وهو قوة تعقل الامور الكلية (السابع العقل العملى) وحده انه قوة للنفس هى مبدأ لتحريك القوة الشوقية الى ما يختار من الجزئيات (الثامن العقل الفعال) وهو جوهر مجرد فى ذاته مستغن فى فاعليته عن الآلات الجسمانية وذلك لان الحكماء يزعمون أن الفلك التاسع وهو فلك القمر له عقل مؤثر فى العالم السفلى الكون والفساد وبيان ذلك أنهم يزعمون أن الله سبحانه وتعالى ليست له صفات زائدة على الذات بل الموجود هو الذات فقط وهو عالم قادر بذاته بمعنى ان انكشاف الامور له سبحانه وتعالى ليس ثابتا بسبب ثبوت صفة زائدة على الذات تسمى بالعلم بل الانكشاف المذكور ثابت له بمقتضى ذاته وكذا يقال فى باقى الصفات واذا لم تكن له صفات زائدة كان واحدا من كل جهة أى لا تعدد فيه لا من جهة الذات ولا من جهة الصفات وكل ما كان كذلك لا يصدر عنه الا واحد وقالوا أول صادر عن الله هو العقل الاول وله اعتبارات ثلاثة وجوده فى نفسه ووجوبه بالغير وامكانه فى ذاته فباعتبار وجوده يصدر عنه عقل ثان وباعتبار وجوبه بالغير يصدر عنه نفس أولى وباعتبار امكانه يصدر عنه فلك أول وكذلك يصدر من العقل الثانى بالاعتبارات المتقدمة عقل ثالث ونفس ثانية وفلك ثان وهكذا الى العقل العاشر الذى هو فى مرتبة التاسع من الافلاك أعنى فلك القمر ويسمونه العقل الفياض لافاضته على العالم السفلى صورها ونفوسها وأعراضها وبيان بطلانه ان يقال ان الاعتبارات الثلاثة اما أن تكون وجودية أولا فان كانت وجودية لزم تعدد موجدها مع ان موجدها الاول وهو الله واحد من كل جهة كما زعمتم وان كانت أمورا اعتبارية قيل عليه انها لا تصلح أن تكون مصدرا للامور

الوجودية وان قلتم انها ليست مصدرا بل شرط للتأثير فى الوجودى قلنا ان مثل هذه الاعتبارات من السلوب والاضافات يتأتى اعتباره بالنسبة للمبدا الاول وحينئذ فما المانع من أن يكون سبحانه وتعالى مصدرا لامور متعددة

(**باب الروح**) قيل هى اجسام هوائية مختلطة بالحرارة الغريزية وتولدها قيل فى الجانب الايسر من القلب وقيل فى الدماغ وقيل هى الحرارة الغريزية المختلطة بالارواح القلبية والدماغية وقال امام الحرمين من أهل السنة ان الروح جسم لطيف شفاف حى لذاته فان تكون البدن وتم استعداده نفذت فى داخل اعضاء البدن مثل نفوذ دهن السمسم فى السمسم ونفوذ ماء الورد فى الورد ثم ان البدن مادام قابلا لنفوذ ذلك الجسم فيه بقى حيا فاذا تولد فى البدن اخلاط غليظة منعت سريانه فينفصل حينئذ عن البدن ويعرض الموت قال الفخر وهذا مذهب قوى شريف يجب التأمل فيه فانه شديد المطابقة لما ورد فى الكتب الالهية من أحوال الحياة والموت وقال العز بن عبد السلام ان فى كل جسد روحين أحدهما روح اليقظة التى أجرى الله تعالى العادة بانها اذا كانت فى الجسد كان الانسان مستيقظا فاذا خرجت منه نام وثانيهما روح الحياة التى أجرى الله تعالى العادة بانها اذا كانت فى الجسد كان حيا فاذا فارقته مات وقال الغزالى ان هناك لطيفة ربانية لا يعلمها الا الله تعالى وهى من حيث تفكرها يقال لها عقل ومن حيث حياة الجسد بها يقال لها روح ومن حيث شهوتها أو التعبير عنها بأنا نفس فالثلاثة متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار * (تنبيه) * وقع اختلاف فى المراد بالسؤال فى قوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) قيل انه سؤال عن الماهية أى أى شئ ماهية الروح وحقيقته أهو متحيز أم حال فى المتحيز أم موجود غير متحيز ولا حال فى المتحيز وقيل انه سؤال عن قدمه أو حدوثه فمعناه هل الروح قديمة أو حادثة ومعنى قوله قل الروح من أمر ربى على القول الاول فى السؤال انه موجود بأمر الله وتكوينه وانه ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه لهم اذ لا يتجاوز ادراكهم عالم المحسوسات ولا يدركون من المعانى المعقولة الا صورا منتزعة من الجزئيات المحسوسة بل هو

من عالم الذوات المجردة عن الهيولى ومن الجواهر المقدسة عن الشكل واللون والجهة فلا يمكنكم ادراكه أيها المحجوبون ففى الجواب اشارة الى أنه لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به وهى هنا كونه موجودا بأمر الله وتكوينه وانه ليس من عالم الخلق وعلى هذا يكون ذكر قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا لبيان ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة حقيقة الروح ومعناه على القول الثانى فى السؤال انه حادث بتكوينه وموجود بأمره أى بقوله كن وعلى هذا يكون ذكر قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا للاحتجاج على حدوث الروح يعنى ان الارواح فى مبدا الفطرة خالية عن العلوم والمعارف ثم حصلت لها فلا تزال تتغير من نقصان الى كمال والتغير فى الصفات من أمارات حدوث الموصوف وقيل ان معنى قل الروح من أمر ربى أنه مما استأثر الله بعلمه لما روى أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة ورد هذا القيل بأن معرفة الروح ليست أعظم شأنا من معرفته تعالى واذا كانت معرفته تعالى ممكنة بل حاصلة فأى مانع يمنع من معرفة الروح مع ان مسئلة الروح يعرفها أصاغر العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين فكيف يليق بالرسول الذى هو أعلم العلماء وأفضل الفضلاء أن يقول لا أعرف هذه المسئلة وانما علمها من أمر ربى وشأنه وقيل ان السؤال عن الروح بمعنى القرآن كما فى قوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وسمى القرآن روحا لحصول حياة الارواح والعقول به اذ به تحصل معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله وذلك لان القوم استعظموا أمر القرآن فسألوا هل هو من جنس الشعر أو من جنس الكهانة فأجيبوا بأنه ليس من جنس كلام البشر وانما هو كلام ظهر بأمر الله ووحيه وقيل ان السؤال عن الروح بمعنى ملك من ملائكة السموات وهو أعظمهم قدرا وقوة وهو المراد بقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا قال الفخر ونقلوا عن على بن أبى طالب أنه قال هو ملك له سبعون ألف وجه

لكل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيامة قالوا ولم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش فان العرش جسم عظيم نورانى علوى محيط بجميع الاجسام قالوا ولو شاء ان يبتلع هذا الملك السموات والارضين ومن فيهن بلقمة واحدة لفعل وضعف الفخر هذا الاحتمال بأمور منها أن الروح بهذا المعنى أمر مجهول الوجود فكيف يسئل عنه أما الروح الذى هو سبب الحياة فهو أمر تتوفر دواعى العقلاء على معرفته فصرف هذا السؤال اليه أولى وقيل ان السؤال عن الروح بمعنى جبريل كما فى قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك أى كيف جبريل فى نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحى وقيل ان السؤال عن الروح بمعنى خلق ليسوا من الملائكة على صورة بنى آدم يأكلون ولهم أيد وأرجل ورؤس كما قال مجاهد وقال أبو صالح يشبهون الناس وليسوا بالناس وضعفه الفخر بمثل ما مر ((خاتمة فى ذكر المذاهب فى حقيقة الانسان)) الأول انه عبارة عن هذه البنية المحسوسة والجسم المحسوس وهذا مذهب جمهور المتكلمين وأبطل الفخر هذا المذهب بست عشرة حجة منها قوله عليه الصلاة والسلام فى خطبة خطبها حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول يا أهلى ويا ولدى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى جمعت المال من حله وغير حله فالغنى لغيرى والتبعة على فاحذروا مثل ما حل بى وجه الاستدلال أن النبى صلى الله عليه وسلم صرح بان هناك شيأ ينادى حال حمل الجسد على النعش ويقول يا أهلى الى آخر ما سبق ومعلوم أن الذى كان الاهل اهلا له وكان جامعا للمال من الحلال والحرام ما هو الا المسمى بالانسان وقائل ذلك لا يكون الا حيا فاهما والجسد ميت فى هذه الحال فتعين أن يكون الانسان غيره ومنها أنا نرى جميع فرق الدنيا من الهند والروم والعرب والعجم وجميع أرباب الملل والنحل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسائر فرق العالم وطوائفهم يتصدقون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير ويذهبون الى زيارتهم ولولا انهم أحياء بعد موت الجسد لكان كل من الامور المذكورة عبثا

فاتفاقهم على هذه الصدقة وعلى هذا الدعاء وعلى هذه الزيارة يدل على ان فطرتهم الاصلية السليمة شاهدة بان الانسان شئ غير هذا الجسد موجود (الثانى) انه الروح الذى فى القلب (الثالث) انه الجسم اللطيف السارى فى البدن (الرابع) انه المزاج وذلك لان العناصر الاربعة اذا امتزجت وانكسرت قوة كل منها بقوة الآخر حصلت كيفية متوسطة بين طبائع العناصر الاربعة وهى المزاج وبعضه انسانى وبعضه فرسى فالانسانى عبارة عن اجسام متولدة عن امتزاجات اجزاء العناصر وهذا قول جمهور الاطباء ومنكرى بقاء النفس وقول أبى الحسن البصرى من المعتزلة (الخامس) انه عبارة عن أجسام مخصوصة بشرط كونها متصفة بالعلم والقدرة والحياة وهؤلاء أنكروا الروح والنفس وقالوا ليس ههنا الا الأجسام مؤتلفة موصوفة بهذه الصفات وهذا مذهب أكثر شيوخ المعتزلة (السادس) أنه ليس بجسم ولا جسمانى بل هو الجوهر المجرد المتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف وهذا قول أكثر الالهيين من الفلاسفة القائلين ببقاء النفس المثبتين لها معادا روحانيا وثوابا وعقابا روحانيا وذهب الى هذا القول جماعة عظيمة من علماء المسلمين مثل أبى القاسم الراغب الاصفهانى والشيخ أبى حامد الغزالى رحمهما الله تعالى ومن قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمى ومن الشيعة الملقب عندهم بالشيخ المفيد ومن الكرامية جماعة (السابع) أنه مجموع البدن والنفس ومذهب هؤلاء ان النفس اذا تعلقت بالبدن اتحدت به فصارت النفس عين البدن والبدن عين
النفس ومجموعهما عند الاتحاد هو
ما يتحقق به الانسان وبتم وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم
آمين

*(طبعت هذه الرسالة البهية بالمطبعة الكبرى الميرية فى السابع
من ذى القعدة سنة ١٣٠٢ من الهجرة)*